جامعة تكريت

كلية التربية للبنات

قسم التاريخ

المرحلة: الثانية

المادة : تاريخ الدولة العربية الإسلامية في العصر الأموي

عنوان المحاضرة: أسباب سقوط دولة عبدالله بن الزبير

أسم التدريسي :م.د. وجيدة ممدوح يوسف

الإيميل الجامعي للتدريسي :wajiadh.mamdouh@tu.edu.iq

أسباب سقوط دولة عبدالله بن الزبير

عندما بايع الناس «عبدالله بن الزبير» بالخلافة سنة (٦٤هـ) كانت كل عوامل النجاح متوافرة له، فقد بويع له بالخلافة في وقت لم يكن فيه للمسلمين خلافة ، وهو بذلك خليفة شرعي وليس خارجا على خليفة، وكانت تلك دعامة قوية له، ثم إن معظم أقطار العالم الإسلامى قد بايعته راضية ومقتنعة به لماضيه وماضى أسرته، وعلاقته الوثيقة ببيت النبوة. وعلى الرغم من ذلك كله فإن «عبدالله بن الزبير» أخفق في الحفاظ على دولته لأسباب

كثيرة، منها:

١- أنه قبع فى «مكة»، وهي على قداستها لم تكن تصلح عاصمة سياسية لدولة امتدت حدودها، فكان عليه أن ينتقل إلى قطر غني، يتوسط الدولة كالعراق أو الشام، ولو فعل ذلك

لكان أفضل له ولشد من عزيمة أنصاره؛ لأن كفته كانت ترجح كفة مروان بن الحكم» وابنه «عبد الملك» عند كثير من الناس حتى في الشام نفسها، فقد بايعه معظم أهلها. ويمكن أن نجمل أثر بقاء ابن الزبير في مكة على حركته في النقاط التالية :

أ- الموقع فمكة من حيث الموقع بعيدة عن الشام والعراق وهما الإقليمان اللذان شهدا أهم مراحل الصراع بين ابن الزبير وبني أمية، فهذا البعد لم يتح لابن الزبير الاطلاع ومتابعة ما يحدث من صراع بين الموالين له وخصومه، لاسيما مع ضعف إمكانات الاتصال، وبالتالي فإن ذلك لا يتيح لابن الزبير اتخاذ القرارات المناسبة إزاء ما يجري على الساحة بعكس خصومه الأمويين الذين كانوا يعيشون الأحداث مباشرة، ومن جانب آخر فإن مكة تقع في واد محصور بين عدة جبال شاهقة وهي أشبه ما تكون بالمصيدة لمن يعتم بها حينما تحاصرها الجيوش من كل جانب، ويقطعون عنها الإمدادات، وكادت حركة ابن الزبير تحمد منذ وقت مبكر حينما حاصر الحصين بن نمير ابن الزبير داخل مكة سنة ٦٤ هـ لولا أن الله أنقذه بوفاة يزيد بن معاوية وانسحاب جيش الحصين إلى الشام.

ب-الناحية الاقتصادية تعتمد مكة بشكل خاص والحجاز بشكل عام في مواردهما الاقتصادية على ما يأتيهما من خارجهما، خاصة من الشام ومصر، وانقطاع هذه الموارد

يتسبب في إحداث مجاعة ترهق المقيمين فيهما، وقد أفاد بنو أمية من هذا العامل إفادة كبيرة في صراعهم مع ابن الزبير فبعد سقوط مصر والشام في أيدي الأمويين انقطعت الإمدادات التي تصل إلى المدينة، وبطبيعة الحال فإن مكة سينالها ما نال المدينة، كما لجأ الأمويون إلى هذا السلاح أيام الحصارين الأول والثاني". وأصابت الناس مجاعة شديدة حتى ذبح ابن الزبير فرساً له وقسم لحمه في أصحابه. وقال الواقدي: حدثني ابن جريج عن عطاء قال: رأيت العباد من أصحاب ابن الزبير يأكلون لحوم البراذين في حصار ابن الزبير وقال الواقدي في روايته وبيعت الدجاجة بعشرة دراهم، ومد الذرة بعشرين درهماً، وإن بيوت ابن الزبير المملوءة قمحاً وشعيراً وذرة وتمراً.

ت –الموارد البشرية تبع قيام حركة الفتوح الإسلامية هجرة العديد من القبائل إلى الأقاليم المفتوحة وتركزت معظم هذه القبائل في العراق والشام ومصر، وقد ترتب على ذلك اختلال معادلة التوزيع السكاني لترجيح كفة هذين الإقليمين على الحجاز الذي عانى من نقص الكوادر البشرية " ، وهذا النقص في الواقع لم يتح لابن الزبير تكوين جيش قوي يكون مستعدا في أية لحظة لمهاجمة الخصم، أو أقل تقدير لصد هجومه، ولذلك نجد أن ابن الزبير إزاء هذا الوضع يلجأ دائمًا إلى طلب الإمدادات من العراق، هو بذلك يربط تحركاته بما يكون عليه الوضع في هذا الإقليم من حيث استقراره، واستعداد واليه لإرسال المدد، وهذا مما يفوت على ابن الزبير الكثير من الفرص .

٢– الظروف السيئة التي وجدت فيها حركة ابن الزبير ساهمت إلى حد كبير في سقوط خلافته، تمثلت هذه الظروف بظهور التيارات والاتجاهات المذهبية والقبلية وانعدام. الاستقرار السياسي الذي هو من أهم الشروط لقيام حكم مستقر ، لقد أشغل الخوارج ابن الزبير كثيراً، كما أن حركة المختار أخذت من جهده ووقته ورجاله، فهذه الحركات ذات المنطلقات العقائدية أشغلت ابن الزبير كثيراً عن التفكير في تنظيم دولته، كما استنزفت الكثير من طاقاته المادية والبشرية.

٣– امتناع بنى هاشم» عن بيعته، فقد رفض أن يبايعه زعماؤهم، مثل: «عبدالله بن

عباس» و «محمد بن على بن أبي طالب، وكان قاسيًا معهم، فلم يعاملهم بما يليق بهم من التقدير والاحترام، مثلما كان يفعل معهم «بنو أمية»، بل تهددهم وسجنهم فلم يرضخوا له، وبايعوا «عبدالملك بن مروان»، كما امتنع عن بيعته «ابن عمر»، فأضعف ذلك كله موقفه.

٤- معارضة الخوارج له بعد أن رفض اعتناق أفكارهم وآرائهم، فانقلبوا ضده. وكان مع ابن الزبير قوم قدموا مع ابن عديس من مصر، ثم صاروا خوارج ذوو شجاعة وبأس فقاتلوا معه دافعين عن البيت معظمين لحرمته وكانت لهم نكاية في أهل الشام، فبلغه عنهم ما يقولون فى عثمان رضي الله تعالى عنه فقال : والله ما أحب أن أستظهر على عدوي بمن يبغض عثمان، ولا بأن ألقي الله إلا ناصراً ،له وجعل يماكرهم، فقالوا: والله ما نرى أن نقاتل مع رجل يكفر أسلافنا، وما قاتلنا إلا لحرمة هذا البيت وأن نردها شورى فتفرقوا عنه فاختل عسكره وعريت مصافه ودنا منه عدوه حتى قاتلوه في جوف المسجد، فقال عبيد بن عمير عجباً لك ولما صنعت لهؤلاء القوم، وهم أهل البلاء الحسن والأثر الجميل هلا سكت عنهم واحتملتهم إلى أن يصنع الله وتضع الحرب أوزارها، وقد قلت لو أن الشياطين أعانتني على هؤلاء القوم لقبلتهم وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعين في حربه بالمنافقين واليهود.

٥- عدم اهتمامه بالشعراء وإعداق الهدايا عليهم فالمعركة الإعلامية انتصر فيها الأمويون إنتصاراً كبير على ابن الزبير، فقد كانوا يعطون الشعراء ويشترون الناس بالأموال.

٦- إن الطريقة التي اتبعها ابن الزبير في القضاء على أخيه عمرو بن الزبير بعد ما ما وقع الأسر جعلت الناس ينظرون إليه على أنه رجل تنقصه العاطفة والشفقة، وكان لذلك مرده السيء على تعاطف الناس مع قضيته، فعمرو بن الزبير كان يضرب الناس في المدينة بناء على تهم موجهة إليهم بشأن تعاطفهم وتعاملهم مع ابن الزبير وكان معيناً من قبل الدولة وكانت قرارته يتخذها بطبيعة عمله، وإن كان فيها شيء من التجني والخطأ والظلم ...

٧- خيانة أهل «العراق»، وعدم إخلاصهم له، فقد تخلى معظمهم عن أخيه مصعب عندما التقت جيوشه بجيوش عبدالملك بن مروان، وانضموا إليها

٨- إسراف أخيه «مصعب» في سفك الدماء، حتى ليروى أنه قتل ستة آلاف من أهل «الكوفة دفعة واحدة بعد مقتل المختار بن عبيد الله الثقفى سنة (٦٧هـ)؛ مما أوغر صدور قبائلهم على «آل الزبير»، فليس ببعيد أن يكون موقفهم في معركته الفاصلة مع «عبد الملك» انتقاما منه لما صنع بأهلهم.

٩ - تقوق خصوم ابن الزبير ، فليس بمستغرب أن يتفوق بنو أميه على ابن الزبير، الذي لم تتح له الفرصة لأن يتولى إقليماً من الأقاليم ليكتسب الخبرة في الحكم مثل الأمويين الذين تبوأوا الخلافة منذ معاوية، وكذلك في التكتيك الحربي، وقيادة الجيوش وكان يعتمد على قواده أو ولاة الأقاليم في حروبه ولم يغادر مكة قط، وقد انتقد عبد الملك بن مروان هذه السياسة فقال: إن عبد الله بن الزبير لو كان خليفة كما يزعم لأبدى صفحته، وأسى أنصاره بنفسه، ولم يغرز ذنبه في الحرم .

١٠- شحه بالمال وعدم سخائه مع أنصاره، في الوقت الذي كان فيه يسخو خصمه «عبدالملك بن مروان على أنصاره بل استطاع بالمال استمالة أنصار ابن الزبير» نفسه إلى صفه. وقال ابن الكلبي وغيره: كان أهل الشام ينتظرون فناء ما كان عند ابن الزبير من الطعام، فكان يحوط ذلك ولا ينفق منه إلا ما يمسك الرمق ويقول: أنفسهم قوية ما لم يفن يعني أنفس أصحابه.